وإطالة الحب بوساطة العنصر الروحي أشار إليها الفيلسوف كنت بقوله : « وعلى قدر سرعة الذهن في النشاط ، فهو لا يتوانى عن بذل تأثيره أيضاً في المحيط الجنسي . وسرعان ما اكتشف الإنسان أن منبه الجنس Atimulus الذي اعتمد في الحيوانات على مجرد دافع دوري غالباً ما يكون وقتياً ، كان في حالته الخاصة مقتدراً على الإطالة ، وفي الغالب على الزيادة والكثرة بواسطة قوة التخيل (١) » .

ونجد أن الرغبة تتحقق في شكل رمزي لا في الأحلام فقط ، سواء أحلام النوم أو أحلام اليقظة ، ولكن في الشعر والموسيقى والفن والأدب ، الخ ...

والحياة في طريقها السريع لتكون أكثر تعقيداً ، وسرعة الحياة الحديثة تجبر الإنسان على تنظيم نشاطه اليومي بالنسبة للزمن الذي تسمح به بيئته . فركبات الترام المزدحمة ، والمطاعم ، والملاهي ، والحوانيت ، والشوارع ، تشهد على ازدياد السرعة التي جلبتها الحضارة الحديثة ملايين الأنفس تسير قطعانا ضمن الحدود الضيقة بالمدينة . وهذه الحاجة التي تتطلبها السرعة المجنونة ترقى في عقولنا هيولية غامضة chaos . وبلاد اليونان لم تنجب مفكريها العظام إلا لأنها منحت سكانها وقتاً للراحة ، هذا الوقت الذي يعد من المستلزمات التي لا تقدر قيمتها لكل نفس فنانة .

وفي أثناء كل هذه السرعة وكل هذا التزاحم ، كيفما يكن ، تعمل الجنسية صامتة على التأثير في الإنسان والضغط عليه وإقناعه ، وحثه طوال حياته . ولكن الإنسان لا يعير كل هذا أي التفات . فهو جد مشغول بالعوامل الموضوعية في بيئته ، هذه العوامل التي هي ، بعد كل هذا ، أكثر وضوحاً وأكثر أهمية في نظره . وفي بعض الأحيان تكشف الجنسية عن نفسها مع نسمات الصيف الرقيقة ، وفي أحيان أخرى ، مع عواصف الشتاء الهوجاء . ولكننا في كل الحالات نتعامل مع المادة نفسها — اللبيدو . وأعمال اللبيدو لا تخضع للتأثير مع مرور الزمن . هذا التأثير الذي أصبحنا نعرفه الآن وندريه بواسطة استقصاءاتنا السيكولوجية .

عبد العزيز جادو

(١) The Probable Beginning of Human History Published in 1786

الذين جنوا علينا

الذين جنوا علينا ... فبذروا في طبعنا الحرمان ، وغرسوا في قلبنا الألم ، وأقاموا حياتنا على دعائم من الشك اليائس ، والحيرة المضنية ، والفكر الحزين ، والحب المشوم ... بيت ومدرسة وتقاليد ! في أرجاء البيت ، تحكم الوالد ... فمنع النافع ، وأجاز الضار ؛ وفي حلقة الدرس ، أفلس الأستاذ ... فدرس الغث وترك المفيد ، وعنى بالقشور وأهمل اللباب ، وفي جحيم البيئة ، تسلطت التقاليد ... ففرضت الحياء ، وأكسبت الجبن ، والتواكل ، وراضتنا على خلق العبيد !

ومن ثم ، فلم يكن أمل في ابتكار ، ولم يعد رجاء في انتظار ، وأرواحنا ظمأى إلى المعرفة حنانة إلى الثقافة ، عطشى إلى الجمال ، يمتعها البيان العالي ، ويشجيها الأسلوب الرصين ، ويطربها اللحن البديع ، فتندفع في غير تحفظ ، وتسرع في غير اعتدال ، لتلحق ركب الفن والأدب ، والحب والخير ، علها تصيب من ثمار الأذهان مفيداً ، ومن قرائح العباقرة جديداً ، يؤهلها لأن تدرك وجودها في الحياة ... وما عاش فاقد المعرفة ، وما خلق صدىء الشاعر ، وما تمتع بليد الأحساس ، وليس جدير بالبقاء ، حتى لا تختلط ذرات الحب الأسمى ، بدمائه وقلبه ، وأهازيجه وأفكاره حتى ذلك الحيوان الأعجم !

تلك هي محنة الشباب الأبي ، في عصرنا الحر ، حرمان رهيب عنيف ، يتلاشى مع الزمن ، أو يتحطم مع العصيان ، فتنطلق الغرائز على سجيتها متطرفة ، ويستجيب الفرد لشهواته طائعاً ، ويجد اللذة في أن يركب رأسه ، فلا يسمع من أبويه نصيحة ، ولا يطيع لأستاذه رأياً ، ثم يدفع الثمن أجراً غالياً ، من ثقافته وجهده ، ومن محتده وسمعته ، وعلى حساب مستقبله وكرامته ، ويذهب ضحية بريئة ، لأخطاء جسيمة ، وتوارثناها فيما خلف لنا الماضي البعيد ، من جهالة وخرافة ، ومن نحن وازدراء ! أيها الآباء المشفقون على أبنائكم ، والأساتذة المحبون لتلاميذهم ... لن يقيم هذا العوج ، قانون يسنه البرلمان ، ولا سلطة يمنحها الناظر ، ولا شدة يطبقها الوالد ، ولن يصلح الخلل في معاهدنا ، والضعف في السنتنا ، والغثاثة في ثقافتنا ، إلا تربية قويمة ، وتنشئة مستقلة ، وتعاون بين البيت والمعهد ، وثقة بين الوالد والمربي وحرية للابن أن يعبر عما يريد ، وأن يعالج ما يحب !